**الاستيطان الصهيوني في فلسطين**

ترتكز الاستراتيجية الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين على عدة عوامل رئيسية: العامل التاريخي والعامل السكاني والعامل الاقتصادي والعامل السياسي. وتظهر أهمية العامل التاريخي في الدعاوى التي يكررها اليهود حول حقهم التاريخي في فلسطين، وتتمحور هذه الدعوى حول كون فلسطين بلاداً لليهود في القدم. أما العامل السكاني فتظهر أهميته من خلال كونه محور نشاط الحركة الصهيونية منذ نشأتها، حيث سعت الحركة الصهيونية لتهجير اليهود من شتى بقاع العالم إلى فلسطين من خلال تسهيل سبل الهجرة أمامهم. ولأن قادة تلك الحركة يدركون أهمية العامل السكاني لإقامة الدولة اليهودية فقد شجع قادة الحركة على استمرار الهجرة لتكون الغلبة في عدد السكان في فلسطين لصالح اليهود، وهذا لا يتطلب تشجيع الهجرة اليهودية فحسب ولكنه يتطلب أيضاً طرد السكان العرب من أرضهم وإرغامهم على الهجرة أو إبادتهم بحجة انخراطهم في عمليات المقاومة الفلسطينية. أما العامل الاقتصادي فيتمحور حول تمويل اليهود المهاجرين إلى فلسطين، إذ أن هؤلاء المهاجرين يحتاجون المال لشراء الأرض والسكن، كما يحتاجون المال لاستقرارهم المادي والمعنوي، ولئلا يفكرون ثانية بالهجرة العكسية، حتى تولد أجيال في فلسطين لا تعرف وطناً غيره. أما العامل السياسي فهو من أخطر العوامل الداعمة لموقف الكيان المحتل في فلسطين، ويتلخص هذا العامل في كون إسرائيل لا تقدم نفسها للعالم كدولة لليهود فحسب؛ وإنما كقاعدة استعمارية تعمل على تحقيق مصالح الدول الاستعمارية وإضعاف الدول العربية. ومن هذا المنطلق زُرِع هذا الجسم الغريب في منتصف المنطقة العربية وعمل كحاجز طبيعي بين عرب آسيا وعرب أفريقيا.

إضافةً إلى العوامل الأربعة السالف ذكرها التي ارتكزت عليها الاستراتيجية الصهيونية لإقامة دولة اليهود في فلسطين، من الممكن الإشارة إلى ركائز أخرى عملت عليها الحركة الصهيونية قبل احتلال فلسطين، ومنها ما يلي:

1. السيطرة على الأراضي الزراعية.
2. تأمين استمرار دعم الاستعمار الإنجليزي للحركة الصهيونية.
3. إبقاء الدول العربية متخلفة وتابعة للمستعمر الغربي.

لقد كانت حركة الاستيطان تسير خطوة بخطوة بطريقة علمية منظمة، آخذة بعين الاعتبار الظروف المحيطة بالحركة الصهيونية، وبعد دراسة وفهم لواقع الوطن العربي المتخلف والمجزأ. وقد بدأت أولى العمليات التطبيقية للاستيطان في فلسطين مبكراً، تقريباً عام 1870م/ 1286هـ حين أنشئت مدرسة زراعية قرب مدينة يافا، فكانت أول تجربة لليهود مه الأراضي الزراعية، حيث أقاموا مستعمرة عام 1878م/1294هـ رغم أن هذه المحاولة الأولى لم تنجح.

لم تكن الحركة الصهيونية تخطط لمجاورة العرب في فلسطين أو لإقامة دولة تتسع للعرب وتحمي حقوقهم؛ بل إن الكيان الصهيوني ومنذ أول لبنة وضعت لبنائه كان يخطط للتخلص من العرب، وهذا الأمر قد ذكره جوزيف مايتس -أحد المسؤولين عن الاستيطان اليهودي في فلسطين- عام 1940م/ 1359هـ: "ينبغي أن يكون واضحاً فيما بيننا أن هذا البلد لا يمكن أن يتسع لكلا الشعبين ... إننا لن نحقق هدفنا في الاستقلال إذا ما بقي العرب في هذا البلد الصغير، والحل الوحيد يتمثل في إفراغ فلسطين ... من العرب ... وليس ثمة من وسيلة أخرى سوى نقل العرب الموجودين هنا إلى البلدان المجاورة -نقلهم جميعاً- ينبغي إلا تبقى قرية واحدة أو قبيلة واحدة". وقد تبنت الحكومة البريطانية هذا الموقف عام 1944م/ 1363هـ عن طريق اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني.

ولم يكتف النشاط الصهيوني بدعم الدول الاستعمارية، بل سعى لاستغلال جميع الفرص المتاحة التي تساعده على الوصول إلى هدفه حتى على أراضي البلدان العربية. فعلى سبيل المثال، استغل الصهاينة تقدم مصر في المجال الصحافي فأسسوا ثمان وعشرين مجلة وجريدة في مصر وحدها لنشر الدعاية الصهيونية فيما بين عامي 1880 و1945. وفيما يلي عينة واحدة من نوع تلك المنشورات الصهيونية نشرت في صحيفة "شمس" بتاريخ 11/1/1935م:

"إخواني الإسرائيليين: إن فلسطين تناديكم بأعلى صوتها طالبة منكم أنتم أبناؤها الأبرار، أن تشتروا كم واحد منكم قطعة أرض بالنقد أو بالتقسيط، وذلك بواسطة البنك على يد الوكيل الوحيد بالقطر المصري مع التسهيلات في الدفع ...".

ولقد تزامن هذا النشاط الإعلامي مع نشاط الهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان فيها. ومثل هذا النشاط الإعلامي في الوطن دليل على استغلال الصهيونية لأوضاع العالم العربي المتردية، ودليل أيضاً على استغلال الصهيونية للتحالف القائم بينها وبين الإمبريالية العالمية ممثلة بالاستعمارين البريطاني والفرنسي اللذان يحتلان معظم أجزاء العالم العربي.

وحين ننظر إلى أعداد المستوطنات اليهودية التي أسست في فلسطين منذ عام 1882م/1299هـ حتى قبيل إعلان قيام دولة إسرائيل نجد أن أعداد المستوطنات تضاعفت عشرات المرات خلال ستين سنة تقريباً. فعدد المستوطنات كان خمس مستوطنات فقط في 1299هـ، ثم بلغ 14 مستوطنة خلال ثمان سنوات فقط عام 1890م/1307هـ. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م/1332هـ ارتفع عدد المستوطنات إلى 47 مستوطنة، ثم تضاعف العدد في أقل من خمس عشرة سنة، حيث بلغ عدد المستوطنات عام 1927م/ 1345هـ ست وتسعين مستوطنة. وفي أقل من خمسة عشر عاماً -تحديداً في عام 1941م/1359هـ- بلغ عدد المستوطنات 231 مستوطنة. وقبيل قيام دولة إسرائيل بسنتين -تحديداً عام 1946م/1365هـ كان عدد المستوطنات 274 مستوطنة يقطنها قرابة مائة وستين ألفاً من اليهود، حيث شكلوا ما نسبته 27% من مجموع سكان فلسطين.

ولأن الهجرة في نظر الحركة الصهيوني لا يجب أن تتوقف لأن هذا يعني تدمير إسرائيل من الداخل، فإن التشجيع على الهجرة والتسهيلات المقدمة للراغبين بالهجرة لم تتوقفان بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني عام 1948م/ 1367هـ، بل إن التسهيلات زادت والتشجيع استمر. ولذا فإننا نجد أن عدد المهاجرين في السنة التي أعلن فيها قيام الكيان الصهيوني 1367هـ فاق المائة ألف مهاجر، بينما بلغ في السنة التي تليها أكثر من مائتين وتسع وثلاثين ألف مهاجر.

ويتكون المهاجرون اليهود في إسرائيل من ثلاثة عناصر أساسية: يهود أوروبا الغربية ويعرفون بـ"الأسكنازيم"، ويهود أوروبا الشرقية ويعرفون بـ"السفارديم"، واليهود العرب.

**المراجع:**

عبدالملك خلف التميمي: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، ص95-104.